الآخر في شعر حيص بيص

م.م ضمياء احمد عبد جاسم الموسوي

جامعة ذي قار / كلية التربية للعلوم الإنسانية / قسم اللغة العربية

الملخص:

موضوع الأخر من الموضوعات التي شقت طريقها في الدراسات النفسية والاجتماعية ، فصورة الأخر هي بمعنى عن المعاني صورة عن ذواتنا ، **لم** تكن عملية التعبير عن الذات أُحادية في مجملها بل اعتمدت بجانبها الأكبر على ذات الآخر في رسم صورها ، لأن حقيقة صناعة الذوات مقرونة بالآخر ؛ وأن انفردت الذات في تكوينها أو في تعبيرها عن ذاتها فإنها أيضاً نشأت لتقف أمام الآخر ، اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي من خلال عرض النصوص والإشارة إلى دور الآخر في نفس الشاعر المتمثل بالآخر الممدوح والقبلي وترابط الآخر مع الأنا ، ثم الكشف عن الجمال الفني في هذه المواطن.

الكلمات المفتاحية: (الآخر، شعر حيص بيص).

The other is in Hais's poetry

Dhamya'a Ahmed Abdul Jassim Al-Mussaw

Dhi Qar University

Faculty of Education for Human Sciences

Arabic language department

Abstract:

The subject of the other is one of the topics that made its way in psychological and social studies. The image of the other is in a sense of meanings an image of ourselves. The process of self-expression was not monologular in its entirety, but relied on the other's largest side in drawing its images, because the reality of making the self is associated

with the other; and if the self is unique in its composition or in its expression of itself, it also arose to stand before the other. The study relied on the descriptive and analytical approach by presenting texts and referring to the role of the other in the same poet represented by the extraised and tribal other and the association of the other with the ego, and then revealing beauty The artist in this citizen.

Keywords: (The Other, Hais Bais poetry).

المقدمة:

جاء في لسان العرب مفهوم الآخر ((بمعنى غير كقولك رجل آخر))[١]، فالآخر سواء أكان خصم أو صديق ففي كلتا الحالتين لا تستطيع الذات العيش دونه ، في المنظور النفسي يقول هيدجر عن الآخر ((أن الوجود بدون الآخرين هو نفسه صورة من صور الوجود مع الآخرين ، بمعنى أن الشعور الفردي لا ينطوي على أي أنفصال مطلق عن عالم الغير الذي هو من مقومات الوجود الإنساني بصفة عامة))[٢] ، وفي قول سارتر أن وجود الآخر يكشف الكون الذي أكونه دون أن أستطيع أن أتملكه ولا حتى أن أدركه [٣] ، فالآخر ((كحرية هو أساس لكوني في ذاته ،فأني أسعى إلى استعادة هذه الحرية وإلى الاستحواذ عليها دون أن أرفع عنها حقها كحرية ، وبالفعل إذا كان بأستطاعتي أن أستعيد هذه الحرية ... فأني سأجد أساس لذاتي))[٤] .

تختلف صورة الآخر من شخص لآخر مما يزيد ذلك تعقيدا هو اختلاف موقف الأنا من الآخر ، يمكن القول أن الآخر هو مركب من سمات فكرية ونفسية وسلوكية واجتماعية ينسبها فرد ما أو جماعة إلى الآخرين الذين هم خارجها [٥] ، فصناعة الأنا أو الذات تعود إلى نحن أو الآخرين من خلال التنشئة الاجتماعية الثقافية الناتجة عن التأثير والتأثر ، فيكون المجتمع هو الآلة في صناعتها والتي تكون الثقافة مادتها ومحتواها الأساسي وتكون الشخصية مادتها الأولى[٦].

إذن الآخر مفهوم كلي يتسع مدلوله لغوياُ وإلى كل ما هو غير الذات يشمل كل الوجود باستثناء الذات المعنية [٧].

هذا وقد تناول البحث صورة الآخر في شعر حيص بيص لأنه يمتلك قدرة كبيرة من القدرات الفنية والإبداعية تمكنه من الدخول إلى عالم الشعراء ممن يستحقون الدراسة والتحليل ، وهو أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد الصيفي التميمي الملقب شهاب الدين ، أديب وشاعر وفقيه مشهور من أصل بغداد كان من أعلم الناس بأخبار العرب ولغاتهم وأشعارهم ، لقب بحيص بيص لأنه رأى الناس يوما في حركة مزعجة وآمر شديد فقال ما للناس في حيص بيص فلقب بهذا اللقب ومعنى هاتين الكلمتين الشدة والرخاء وقيل سبب تلقبه بيت [٨]

قاله مفتخراُ [٩]:

وأني سوف أرفعكم ببأس وأن طال المدة في حيص بيص

كان عصر الشاعر ((حافلاُ بالصراعات والخلافات في ظل الحكم السلجوقي ، فكان شعره مرآة تعكس بعضا من الخلافات بين كبار رجال الدولة))[١٠]

وعلى الرغم أن الدولة السلجوقية تعود بقوادها إلى الأصول التركية التي لا تعرف العربية ،إلا أن سلاطين هذه الدولة كانوا حريصين على جذب الشعراء إلى بلاطهم كنوع من الدعاية السياسية وظهر واضحاُ من خلال عدة قصائد لحيص بيص في مدح بعض أمراء الدولة السلجوقية وخاصة الوزير أبو شروان ومحاولة منهم لجذب التأيد الديني بوصفهم حماة الدين الإسلامي ولغته العربية حيث ظل الخليفة العباسي في بغداد حتى سقوطها على يد التتار في ٦٥٦ هـ يمثل الصفة الشرعية الإسلامية لهؤلاء السلاطين حتى وأن كان وجوده شكليا كرمز للإسلام إلا أنهم كانوا في حاجة لهذا الرمز وهذه الصفة الشرعية كنوع من وسائل الحكم والسيطرة على الرعية [١١] .

وقد طرق أبو الفوارس أبواب الأمراء ، فمدحهم وتغنى بأمجادهم وأراد الانتصار لهم بالكلمة ، فمدح وتغزل ورثى وأحاطهم بهالة من التعظيم فوظف المفردات والتراكيب القرآنية ، وولج التاريخ لينتقي عظماء الشخصيات ويدمج الماضي بالحاضر فيشكل نصاً حديثاً غنياً بالتجربة التي عكست ثقافته الواسعة ومخزونه الفكري المتنوع [١٢]، وظهرت العديد من الصور تناول فيها الشاعر صورة الآخر من أهمها صورة الآخر (الأنا) الموجوع فكانت من أهم الظواهر التي تميز بها شعرة ، وصورة الآخر الممدوح وصورة الآخر القبلي .

أولا : الأنا والآخر في علاقة ترابط

الأنا هي شخصية حاضرة في تجمع أنساني إنها لغة قيم وعادات وطموحات وأهداف ورفض وقبول، وهي عمل وسلوك والعمل والسلوك مرتبطان بالآخرين ، وهي ((الذات المسيطرة على الوضع القائم ، الذي يرى نفسه صاحب الحق في القيادة والسياسة وتمثيل الأمة والسيطرة عليها ، وماعدا ذلك فهو الآخر المرفوض لأنه لا ينسجم مع الأنا المسيطرة))[١٣] ، وهي ((مركب علائقياً يضم الأنا والآخر والموضوع)) [١٤] .

وفي علم النفس ينقسم الجهاز النفسي إلى ثلاث أقسام الهو ، والانا ، والانا الأعلى ، ويشرف الأنا على الإرادية ويقوم بمهمة حفظ الذات [١٥].

فالشاعر يرسم ملامح أناه من خلال نتاجه وسواء أكانت الأنا ظاهره عن الأنا أو خفية في ثنايا أشعاره يظل النص الشعري وسيلة لإنتاج خطابه الذاتي أو ترجمة ذاتية واقعية الذي تتم فيه العودة إلى العالم الداخلي ، فتقترن الذات بالموضوع الخارجي إلى أن تأتي مرحلة أخرى فيكون إيصال الخارج إلى الداخل أو التوحد التام بين الذات والموضوع ، فمفهوم الأنا مبني على السيطرة ، سيطرة الذات على ما تتخذه موضوعاً لها سواء أكان هذا الموضوع أشياء طبيعية أو أناساً آخرين ، فكان شعره

حاجة داخلية ملحة تدفعهُ دفعاً إلى نظم الشعر والتعبير عما تضيق به نفسه ولا يرحب به صدره فهو في حالة صراع دائم مما زاد شعوره بالتمزق النفسي وفقدان الوجدان والإحساس[١٦]

إذ يقول [١٧]:

نكبا صمتي وخافا صخبي لا ركبت الخيل إن لم أغضب

واحذرا آخر حلمي إنما لهذم الذابل أقصى الأكعب

أذنا للقول من معدنه إن جد القول غير اللعب

وأنظراني وأنظر الحاسد لي فمع اللحظ زوال الريب

فالأنا والآخر يقتسمان قدرا متساويا من الخوف والقلق من بعضهما ، وهذا ما لمسناه في النص ، فهي علاقة غير متكافئة متقلبة مابين علاقات عداء وصراع من ناحية أو علاقات خوف مقترن بالانهزام والاستسلام للواقع ، فالصراع النفسي من الظواهر البارزة في الشعر والتي لا يستطيع قارئ الشعر تجاهلها أو عدم الاهتمام بها وبروز ظاهرة الصراع النفسي كانت أثرا مباشرا لسيطرة الانفعالات والعواطف على القصيدة الشعرية ، ولا شك ان علة الإبداع الفني((تكمن في ان الفنان يعاني انفعالاً أو توتراً أزاء أحداث أو وقائع أو ظواهر اجتماعية٠٠، تثير نفسه وتوتر وجدانه وتكون هي السبب أو العلة في دفعه إلى الإبداع الفني)) [١٨] والمتتبع لذات الشاعر النفسية يجدها مفعمة بالانفعالات والمشاعر والمغامرات ، فصراعه الداخلي ليس إلا تناقضاً داخل نفس الإنسان أو عقله الباطن بين قوتين أو أكثر من مكنوناته يحدث ذلك لموقف يكون فيه الشاعر، فيحاول التخلص منه ولكن دون جدوى.

إذ يقول [١٩]:

ولقد حلبت الدهر أشطره فما غادرت فيه علماُ لم أتعلم

فتقف (أنا) الفخر ازاء الآخر موقف المتعالي عليه ، ويستخدم هذا التعبير في وصف الإنسان المجرب الذي عرك الحياة وعركته بحلوها ومرها ، فعرف ما فيه يضرب فيمن جرب الدهر يأتي ذلك في تشبيه الشاعر الدهر بالناقة الحلوب التي تحلب مرة تلو المرة .

إذ يقول [٢٠]:

وإني ومدح الفارس الشهم يزدن فتى المجد من بأس مهيب وأنعم

وأن كنت صياد الغرائب بالحجا ومنهضها بالرأي من كل منجم

وهو صاحب رأي سديد وحكمة وقدرة على التدبير واقتناص غرائب الحكمة واللغة حيث يأتي بها من كل مكان ، إذ وضع لنفسه ((أسلوباً صارماً لحياته وسلوكه يشبه الدستور فهو في لباسه لا يلبس إلا زي الأعراب البدو ، ويتقلد سيفه أينما ذهب ولا يتحدث إلا بالفصيح من الشعر والنثر ، وغريب اللغة ولا تعرض في أشعاره بالهجاء لأحد حتى لمن يهجوه من أمثال (ابن القطان) بل زادت طرفته والتزامه الخلقي أنه لم يتناول الغزل في قصائده كما مثل غيره من الشعراء لأنه وضع مسبقاً دستوراً)) [٢١] ، كما أن هذا الآخر متنوع عند الشاعر بحسب الظروف فهو العدو والصديق وهو الحاسد والقبيلة ، والأخر لم يختفي تماما لأن الأنا الفخر توجه خطابها إليه وتشهده على بطولاتها وسطواتها

إذ يقول [٢٢]:

يامن يسائل من أنا أنا كنت يوماً ها هنا

ركب الفصيح يضمني للضاد ايذل مؤمنا

سطرت نثراً رائقاً صغت القصيدة ملحنا

غرر الفوائد سقتها لتكون ذخرا بعدنا

فإذا مررت ببعضها من دعوة لا تنسا

يصبو الشاعر لتحقيق الذات وتوكيد الأنا بموازاة الذات الجمعية المعادية والصديقة ، فيقتحم باب الفخر لتأكيد ذاته ((ذلك إن الذاتية تستوجب وجود ذات في مواجهة الأشياء)) [٢٣]، فكان لزاماً عليها حتى تثبت وجودها تخطي هذا الواقع وتجاوزه من خلال المواجهة مع سلطة المجتمع القاهرة فنراه يفخر بنفسه وبعلمه الفياض ، وعن علمه كان أبو الفوارس ((يحضر مجالس العلماء ، ويتعلم الفقه الشافعي ، ويسمع الحديث ، وأصبح فيما بعد يناظر في مجالس الخلاف ومسائل الأدب وكان يأخذ برأي الجمهور)) [٢٤] ، وعن كتمان علمه يقول :

عجبوا لعلمي كيف أكتمه والشعر عني ساير يسري
فأجبتهم لم أخف عبثا لكن لمعنى غامض السر
أجمعت علم الدين عن طلب الدنيا حذاري تضاعف الوزر
ورأيتها خدعا مزخرفة فطلبتها بزخارف الشعر

هكذا يسعى حيص بيص إلى تجاوز الأنا في الواقع وتحقيق الذات الشاعرة وذلك في تعاليها على الآخرين لتحريرها من دنس العبودية إذ يقول [٢٥]:

عصيت أبائي إذ أطعت مطامعي ولو كنت شهماً ماعصيت أبائي
صموت يضيق النطق عنه وباسم إذ أخبرت حالاته كان باكيا
أراني مرير العيش عذباً بجوده وأكدره من خالص الود صافيا

يجعل الشاعر في نصه الشعري ((من هذه المعصية مقياس للشهامة والشجاعة ، راسماً مفارقة بوعي الذات على أنها تحررت وتستمتع بتحريرها السلبي فتدين الواقع العقلي المعطي وتواجهه وتقف أمام شريعته ومعزاه أي أنها تصير في حالة من العلو حتى تستطيع أن تنظر إلى تجربتها من علِ)) [٢٦].

ويختلف الشاعر عن الإنسان العادي في التعبير عما يجول في داخله، فالإنسان العادي يخجل من الإفصاح عمّا يجول في داخله، بينما الشاعر يسير في إعلان ما يدور بسريرته إلى أقصى درجة يتحملها الواقع الاجتماعي من حوله ، ولعله في إبداء الحزن دون المرح في الغالب يكون من أصدق الناس تعبيراً عن الحقيقة النفسية للإنسان بعامة [٢٥]، عاش الشاعر مأساة لم يبح بها وصبر طويلاً دون أن يبوح بسره أو يشتكي ، فالنفسية هي الأنا القارة في شخصية الفرد وهي موضوع عناية التحليل النفسي وهي فريدة بالضرورة [٢٧]، يقول حيص بيص[٢٨] :

أصيب ببلوى الجسم أيوب فأعتدى

به تضرب الأمثال إذ يذكر الصبر

فلما أنتهت بلوه من بعد جسمه

إلى القلب نادى معلنا مسني الضر

يطالعنا الشاعر بمشهد يصور لنا حالته النفسية وما يعتريه من حركات و تموجات تنم عن تأزم داخلي وقلق يتصاعد من أعماقه إذ كانت معاناته كبيرة قاس فيها صبره بصبر أيوب الذي ضرب به المثل في الشدة والرخاء، فالصراع الداخلي ليس إلا تناقضاً داخل نفس الإنسان أو عقله الباطن بين قوتين أو أكثر من مكنوناته يحدث ذلك لموقف يكون فيه الشاعر، فيحاول التخلص منه ولكن دون جدوى. ف((الإنسان عندما يعيش حالة من التوتر بين داخله وخارجه ، ويسعى للوصول إلى موقف يصالح بينهما دفعاً لعجلة الحياة من ناحية وتأكيدا للذات من ناحية أخرى ، عندئذ تقفز في ذاكرته القيم الفعالة التي تحتوي على نماذج للبدائل السلوكية))[٢٩] إذ يقول [٣٠]:

دجا ليل همي وأكفهرت بشاشتي

ورحت بحالي واجماً أي واجم

فلما ذكرت الأجر فيما لقيته

تبلجت حتى كدت أشكر ظالمي

يصور الشاعر كيف يكون عليه الحال عند غفلته إذ بدا مظلماً عندما تحولت بشاشته إلى اكفهرار وجهه ، لما حل عليه من الظلام ولكن سرعان ما تذكر الأجر والوعد به حتى تبلج وجهه واعترى الضياء حياته حتى وصل به الأمر إلى إلى شكر من ظلمه وهذا من فضائل الأخلاق عندما يقابل الإساءة بالإحسان [٣١]

ثانيا : الآخر (الممدوح)

اتخذت الشخصيات التاريخية ذات الدلالة الرمزية مساحة لا بأس بها من شعر حيص بيص وهذا ليس بغريب على الشاعر ، لأنه لازم أصحاب السلطان والجاهات فمدح وأفتخر ورثى واختار مايليق بهم من صفات مجسدة في شخصيات مشهور لها تاريخ بالشجاعة والقوة والصبر ، لقد جعل الشاعر ديوانه سجلا حافلا بالشخصيات والأحداث والمواقع التاريخية في العصر السلجوقي خاصة والعصور الأخرى التي تأثر بأحداثها وشخوصها [٣٢] ، لقد لقب أمراء الدولة السلجوقية أنفسهم بلقب السلطان ابتداء بدقاق وسلجوق ومرورا بطغرليك وألب أرسلان ت٥٧١هـ غير أن التاريخ يؤكد نهاية الدولة السلجوقية كانت بنهاية السلطان سنجر بن ملكشاه ت٥٥٢هـ [٣٣]

كان أبو الفوراس حيص بيص يزعم ويعتقد أنه من ولد أكتم بن صيفي حكيم العرب ، فسئل أبوه عن ذلك فقال : ((ما عرفت أني من بني تميم حتى أخبرتني أمي بذلك في سفرة)) [٣٤] ، فقال بعض الشعراء يهجوه فيما أدعي من ذلك [٣٥]:

كم تبادي وكم تطول طرطو رك مافيك شعرة من تميم

فلما بلغته الأبيات رد عليه [٣٦]:

لا تضع من عظيم قدرا وأن كنت مشارا إليه بالتعظيم

فالشريف الكريم ينقص قدرا بالتعدي على الشريف الكريم

حيص بيص شاعر كبير النفس لازمهُ الطموح منذ ان كان صبياً حتى وافاه الأجل وطموحه هذا جعله في أكثر الأحايين يخرج عن المألوف ، وينظر إلى نفسه على انها من نفوس الوزراء والأمراء ، فيفخر بنفسه فخراً ويعجب بقوته عجباً لا يماثله عجب ، فالسلطة هي ((الوظيفة الاجتماعية التي تقوم على أساس سن القوانين وحفظها وتطبيقها ، ومعاقبة من يخالفها وهي التي تعمل على تغييرها وتطويرها كلما دعت الحاجة انها الوظيفة التي لا غنى عنها لوجود الجماعة)) [٣٧] ، ولكنها في الخطاب الشعري شكلت بعداً تضادياً، فبعد ان كانت جهازاً مهمته خرق القيم الضالة والمنحرفة في المجتمع لإقامة العدالة ، تحول نفسه إلى أعلى قيمة من قيم الانحراف والعدول عن القيم[٣٨]، واستناداً إلى هذا القول ((أرتبط وضع المثقف وموقفه بوضع السلطة وموقفها ، وان العلاقة بين القطبين تحكمها أما حالة الصراع وأما حالة هدنة وذلك حسب الهوية الطبقية لكل من المثقف والسلطة))[٣٩] ،

هذا وكان لغلبة ((الأتراك على البلاد واستبدادهم بأمورهم هو الباعث لأبي الفوارس على ما ألزم به نفسه من التزين بزي الأعراب ، والنطق بلهجتهم البدوية إلى غير ذلك فما باله لا يترك سلطاناً ولا أميراً ولا وزيراً إلا مدحه وساق له الثناء الجزيل .. الأمر في ذلك كالمر عند الشاعر المتنبي الذي لا يشك أحد في كونه عربياً ، وأنه كان يحز في نفسه من غير العرب ، ومع ذلك أكثر حكام زمانه من غير العرب ومع ذلك أكثر من مدحهم والثناء عليهم ، لأن المال والجاه بأيديهم)) [٤٠] ، فكان المديح من أهم أغراض الشعر لأبي الفوارس فمن شعره يمدح المقتفي لأمر الله (٥٣٠-٥٥٥هـ) [٤١]:

ماذا أقول إذا الرواة ترنموا بفصح شعري في الأمام العادل

واستحسن الفصحاء بشان قصيدة لأجل ممدوح وأفصح قائل

مما أصطنعه أبو الفوارس لنفسه أظهار الشخصية العربية ، وتمثيلا لها في ذلك العصر –عصر الألقاب والإقطاع – حرصه على أن يكون له أقطاع كما للآخرين ويلقب رسمياً بالأمير فذهب إلى

مرو حيث يقيم سلطان السلاطين سنجر بن ملكشاه ويمدحه بواحده من قصائده الطنانة ، فأستخرج منه مرسوماً بتأميره ، فذكر الشاعر قصة أمارته في قصيدة مدح فيها الأخر المظفر بن حماد بن أبي الجبير

جاء فيها [٤٢]:

وولجت أسراراً تضرب دونها ال أعناق غير مسارق متستر

حتى انتهت هممي إلى مولاهم رب المقانب والمراتب سنجر

بحسامه وكتابه وكلاهما مجد يقيم على ممر الأعصر

فالسيف لم يسمح لذي فضل به وكذا المثال مثاله لم يسطر

لم يكن للأخر الممدوح ذلك الحضور في النص إلا من خلال الإشارات إلى السيوف ذلك لكثرة استخدامها في الحروف لما تتصف به هذه السيوف من الحدة والمضاء ، حيث أرتبط أسمه في المعارك بوصفه ألة الحرب في تلك الحقبة ، هذا

((ولا يخفى على السلطان ما أراده الشاعر من عطاء على القصيدة ، فأستخرج منه مرسوماً بتأميره ، وهنا كان حصوله على لقب الأمير أبو الفوارس ، ولكنه لم يحصل على أقطاع الأمارة إلا في عهد السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه (ت٥٥٤) وهو أقطاع قرية المستطرفية)) [٤٣]

فقال في قصيدته [٤٤]:

طرب الزمان وأنجمت أشجانه وغياث دين محمد سلطانه

طرب المعاقر بالرياض جرى له شر تأرج موهنا حوذانه

لمقام أبلج في العلاء مخلق فوق النجوم مقامه ومكانه

أراؤه قبل الرماح رماحه والخوف قبل الطعن منه طعانه

شهم كميفي المقال وفي الوغى يردى الخصوم سنانه ولسانه

يشكل الأخر الممدوح عند الشاعر جزءاً من حديثه ونظراته إلى ذاته ، فلتمس النظرة الأيجابيه التي تسطيع من خلالها أدراك مدى اعتراف الأنا بهذا الآخر والذي عرف بقدرته وشجاعته بأشراك الطبيعة إذ طرب الزمان وولت الأحزان لغياث وكرمه ، هذا ولم يكتفي الشاعر بذكر مناقب ممدوحه فقد عرف بصدقه ومودته لهم وقد كافأه أبن طراد على أخلاصه بعد أن عادت إليه الوزارة من جديد.

يقول الشاعر [٤٥] :

شكرا لدهري بالضمير والفم لما أعاض بمنعم عن منعم

لا سلوة بل صبوة بمجانس يرد الوصال بها فؤاد المقرم

خير الوداد وداد أفوه ناطق لعبت به الجلي ولم يتصرم

غرس الصنيع فلا اللسان بصامت دون الثناء ولا الوفاء بمنجم

لي نفس مشفوق بسالف عهده لم ترض نسيان الرفيق الأقدم

فمدحه له ((أتخذه وسيلة لتفضيل الأخلاق العربية وتصوير آمال المجتمع العربي في الفضائل الذاتية)) [٤٦] ، شعر حيص بيص في معظمه مديح يتخلله في كثير من الحالات الحماسة والفخر ، ووصف الحرب ، وقد أجاد فيها إجادة ميزته عن شعراء عصره ، وجعلته مقدما عليهم

وفي مدح أبن البلدي يقول [٤٧]:

أبو جعفر غرس الخلافة والذي يقر له بالبأس سيف وذابل

يجور على أمواله لعفاته ولكنه عند الرعيه عادل

يقولون شعر وهو سحر تألف القلوب فأنبا صبر وماهل

ولكنه حل وهاروت مؤمن وتخييله حق وبغداد بابل

في دهشة الشاعر وأنبهاره بالممدوح جعله يتفنن في مدحه ووصفه ، إذ يشبه الممدوح بالساحر الذي يسحر العقول وهو يؤمن بالسحر ولكنه ليس بالساحر وهنا يضع ممدوحه في مشهد القداسة ليشابهه بالملك هاروت [٤٨] .

وأبو الفوارس ميال بطبعه للهاشمين والعلويين وله مقتطفات في مدح أمير المؤمنين وأبياته المشهوره على لسان العلويين موجهه للأمويين [٤٩]:-

ملكنا فكان العفو منا سجية فلما ملكتم سال بالدم أبطح

وحللتم قتل الأساري وطالما غدونا عن الأسرى نعفُ ونصفحُ

هذا وقد لبست قريش وسام الفخر والعز لشخص أمير المؤمنين (ع) ويلازمها هذا الوسام الكبير والحظ السعيد بوجوده وصيا عليهم إذ يقول [٥٠]:-

فخرت قريش بالوصي عليها ولها فخار بعد ذلك في علي

يمثل الآخر الممدوح في شعر أبي الفوراس جزء من حديثه عن نفسه ، إذ الآخر حال في المجال الوجودي لهويته ، فيمثل بمفارقته موضوع أغراء له أو منعاً للحيطة والحذر منه ، فمن خلال قصائده نستطيع إدراك مدى اعترافه بهذا الآخر والنهل من منجزه الحضاري

ثالثا : الفخر (القبلي)

لا يدرس الأدب في الشعر بمعزل عن المؤثرات المحيطة به السياسية والفكرية والثقافية والأدبية ، فضلا عن المؤثرات الخاصة بالشاعر ومصادر تكوينه الثقافي وعوامل تشكيله الفكري ، واتجاهاته الأدبية والنقدية، وعلاقته بالشعراء وغير الشعراء ، ثم اعتقاده مذهبا فنيا يسلكه في تعبيره الشعري وفي طريق تصويره [٥١] ، ان الأدب في إطاره النظري والتطبيقي انعكاس اجتماعي أكثر من وصفه نشاطاً

لغوياً، وعلاقة الأدب بالمجتمع علاقة قديمة تعود في قدمها إلى فكرة المحاكاة الأفلاطونية وفكرة الواقعي والمحتمل الأرسطي [٥٢] ، وأكدت مدام دي شتال ان كل ((عمل أدبي يتغلغل في بيئة اجتماعية وجغرافية ما حيث يؤدي وظائف محددة بها ومن ثم لا حاجة إلى أي حكم قيمي ، فكل شئ وجد لانه يجب ان يوجد)) [٥٣] ، فعلاقة الأدب بالمجتمع هي علاقة تستهدف خلق علاقة مغايرة كيفياً للعلاقات المألوفه بين الانسان والعالم علاقة تسمح بتجديد إدراك الانسان بين الانسان والعالم إدراك حسي أو كلي لنفسه وللعالم ، دون أن تفقده أو شعوره بالغربة فيه ، ولا يأتي هذا من دون علاقة عميقة مرهفة بين الأدب والمجتمع. [٥٤]

يبدو أن شعر حيص بيص وهو في القرن السادس الهجري يشابه في أسلوبه شعر أولئك الشعراء الذين عاشوا في الجاهلية والإسلام ، وما ذلك إلا رد فعل لما أحدثه عصره في نفسه من نقمة ومرارة لغلبة العنصر التركي على كل ما في البلاد من أمور السياسة والاقتصاد وما تبع ذلك من أضعاف مركز الخلافة ، فوعي الشاعر ذلك كله فكان قصار جهده هو ابراز الشخصية العربية ممثله في شخصه ، فكان من ذلك عنايته بدراسة اللغة والتوسع في معرفة لهجاتها ، والتخصص بها ، حتى أنها كانت تقرأ عليه ، فلا تخلو قصيدة من قصائده إلا وذكر فخره بنفسه وقومه ، بلغة عربية قوية وبليغة مؤثرة ، وما كان ليهاب أحدا من أولئك السلاطين والأمراء ممن كان يمدحهم ، فلا يتردد في مدائحهم بأن يتغنى بسجاياه الحميدة ومفاخر قومه وأمته [٥٥]

ومن أقواله [٥٦]:

أحفظ مغيب الناس ما أحسنوا وما أساؤا تجد مجدا أثيل

فضربة الهادي ولا غيبة بلفظة فيها عتاب جميل

كم من عدو صنته غائبا عن عبث الذم فأضحى خليل

شجاعة الأفواه في المتلقى وإنما الغيبة شأن الذليل

فالصفات الحسنة وحفظ اللسان عن الغيبة وتجنبها من أثار المجد الأزلي الذي يسود البلاد ، وعدم شجاعة الأفواه من صفات الذليل الخائف الذي لا يستطيع أن يجابه فيقول ما يكنه ، أما ما يستغيبه فالغيبة تتضاد مع عدم الحصول على المجد وهي من الصفات السلبية ، هذا ما كان يسعى فيه الشاعر إلى ظهوره في الأبيات والتي توضح ما كان عليه عصره .

ومن أقواله أيضاً معتزا بأمته متمسكا بأصالته العربية [٥٧]:

يا رواة الشعر ، لا تروووه لي فبغير الشعر شيدت رتبي

لست بالقاعد عن مكرمة وأبو رغوان ذو مجد أبي

وكان الأمراء والخلفاء يسعون دائما إلى تشجيع الأدب ويسعون إلى تقريب الشعراء والأدباء فالشعر والعلم لا يزهوان إلا في ظل ملك أو أمير لاشك أن الشاعر كان متمكنا من ثقافة عصره تمكنا تاما مما جعله يستخدم ذخيرته اللغوية وثقافته الواسعة في نظم الشعر .

ف ((الشخصيات التي مدحها ووصفها بما يليق بها كان لها الأثر الأكبر في تغيير مسار تاريخ البلاد والمدن والأماكن مما يعكس ثقافة الشاعر الواسعة وقدرته البارعة على صوغ الأغراض وربط الشخصيات والأحداث بأخرى تاريخية تداخلت في نصوصه في نسيج شعري متكامل)) [٥٨].

وفي زحمة مديح الأمراء والسلاطين يستحضر الشاعر من الماضي التليد موقعة ساخنة ، يم الكلاب ليفتخر في قومه إذ يقول [٥٩] :

تذامر قومي بالكلاب فصافحت

سيوفهم هام العدى والنواصيا

وذادو عطاشى النيب خمسا فأوردوا

ضوارمهم ماء من الهام قانيا

وما جنحت سادات بكر بن وائل

إلى السلم حتى أقبلوها المذاكيا

وعندي يوم لو أبث حديثه

نقاد السنين الغبر عدن ضواريا

هنا يفتخر الشاعر بقومه ويستحضر في ذهنه تلك الواقعة وهي يوم كلاب ليجسد لنا صورة قومه وهم يتسابقون إلى القتال ، فسيوفهم تطال الهامات وتقطع الرؤوس وهي صورة توحي بالشدة والفتن ، كيوم الكلاب وهو يوم من أيام العرب المشهورة

((أن الاتصال الروحي بين الشاعر وقضاياه مجتمعة يغدو عميقا ومفيدا لكليهما معا ، فالتفاعل الحي بين الفرد وقبيلته يهدف إلى خيرهما معاً ، فالشاعر بفرديته ما كان له أن يحقق منجزه الفني (الشعري) لو لم يسبغ عليه المجتمع شيئا من الاهتمام ويهئ له الأجواء ، وفي المقابل ما كان للمجتمع أن يحيا لحظات النشوة لو لم يجد له الشاعر واقعا جديدا))[٦٠] وهذه هي غاية الشاعر ومبتغاه فإرادته تبدو متوافقة مع إرادة القبيلة .

<u>الخاتمة:</u>

من خلال البحث توصلنا إلى النتائج التالية :

١ - موضوع الأخر من الموضوعات التي شقت طريقها في الدراسات النفسية والاجتماعية ، فصورة الأخر هي بمعنى عن المعاني صورة عن ذواتنا

٢ – **لم** تكن عملية التعبير عن الذات أُحادية في مجملها بل اعتمدت بجانبها الأكبر على ذات الآخر في رسم صورها ، لأن حقيقة صناعة الذوات مقرونة بالآخر ؛ وأن انفردت الذات في تكوينها أو في تعبيرها عن ذاتها فإنها أيضاً نشأت لتقف أمام الآخر

٣ – يمثل الأخر في شعر ابي الفوارس جزء من حديثه عن نفسه ، إذ الأخر حال في المجال الوجودي لهويته فيتمثل بمفارقته أغراء له أو منعا للحيطة والحذر منه ومن خلال قصائده نستطيع أدراك مدى اعتراف الشاعر بهذا الأخر والنهل من منجزه الحضاري

٤ – في تحاور مع الأخر يقدم حيص بيص الأنا المعتزة بشجاعتها الواثقة في ذاتها التي تتراءى منتمية لهويتها ، فكان الفخر الذاتي ملاذ الشاعر لإثبات ذاته وفي الوقت نفسه أداة لمواجهة كل أشكال القهر والاستلاب .

الهوامش:

١– لسان العرب : ابن منظور ، ١/ص٨٧ مادة الآخر

٢– مشكلة الإنسان : د.زكريا ابراهيم ، ص[١٥٢]

٣– دراسات في الفلسفة الوجودية: عبد الرحمن بدوي ، ص[٢٢٠]

٤– الأنا والآخر الجماعة دراسة في فلسفة سارتر ومسرحية : سعاد حرب ، ص[٢١٤] .

٥– ينظر الآخر في الشعر الجاهلي : مي عودة احمد ياسين ، ص[٢٥]

٦– ينظر ثقافات منحنية في المشهد الثقافي الراهن : د. عبد العظيم رهيف السلطاني ، ص[٥].

٧– كتاب التعريفات : علي بن محمد بن علي الجرجاني ، ص[١٠١]

٨– ينظر بناء القصيدة في شعر حيص بيص ت٥٧٣هـ دراسة في المضامين وآليات النص : د.ايمن السيد الصبار ، ص[٢٠] .

٩- ديوان حيص بيص : شهاب الدين ابي الفوارس ، ج١ ، تح مكي السيد جاسم ، ص١٥

١٠- توظيف الموروث في شعر ابي الفوارس (حيص بيص) : ايمان عزات محمود عبد ، رسالة ماجستير ، ص٣٠

١١- البداية والنهاية : ابن كثير ،ج١٢، ص١٥١-١٥٣

١٢- توظيف الموروث في شعر ابي الفوارس (حيص بيص) : ص٤٥ ، تينظر تاريخ الادب العربي : احمد حسن الزيات ، ص٢٤٦

١٣- جدلية العلاقة بين الأنا والآخر في سيناريو جاهز لمحمود درويش : أ. د خليل عودة ، ص١

١٤- الانا والهو سيجمند فرويد :أشراف د. محمد عثمان نجاتي ، ص١٦

١٥- المصدر نفسه : ص١٧

١٦- ينظر المعجم الموسوعي للتحليل النفسي : د.عبد المنعم الحفني،ج٢، ص٨٠-٨١

١٧- ديوان حيص بيص : ج١، ص٢١٥

١٨- جماليات الفن (المناهج والمذاهب والنظريات) : علي عبد المعطي محمد ، ص١٩٣-١٩٤

١٩- ديوان حيص بيص : ج١ ، ص ٣٦١

٢٠- المصدر نفسه : ج٢ ، ص٣٦٥

٢١- بناء القصيدة في شعر حيص بيص ت٥٣٧هـ دراسة في المضامين وآاليات النص :ص٤٠

٢٢- اللغة الشعر في ديوان أبي تمام : م.د حسين الواد ، ص١٢٨

٢٣- توظيف الموروث في شعر حيص بيص : ص٥٠

٢٤- ديوان حيص بيص : ج ١، ص٨٧

٢٥- المصدر نفسه :ج١، ص١٦٢-١٦٣

٢٦- جماليات التضاد في شعر حيص بيص : د. عدنان حافظ جودة ، ص٢٠٠

٢٧- ينظر سيكولوجية الإبداع في الفن والأدب : يوسف ميخائيل ، ص ١٠٨-١٠٩

٢٨- ديوان حيص بيص : ج٢، ص ١٢٦

٢٩- الأدب العربي تعبيرا عن الوحدة والتنوع بحوث تمهيدية مجموعة باحثين : ص ٣٣١

٣٠- ديوان حيص بيص :ج٢، ص١٨٨

٣١- ينظر جماليات التضاد في شعر حيص بيص : ص٢٠٤

٣٢- توظيف الموروث في شعر أبي الفوارس حيص بيص : ص٤١

٣٣- ينظر بناء القصيدة في شعر حيص بيص : ص١٤

٣٤-

٣٥- معجم الأدباء : ياقوت الحموي ، ج١١ ، ص ١١٩ .

٣٦- ديوان حيص بيص : ج١ص٦٧١

٣٧- السلطة السياسية – ضرورتها وطبيعتها – : عبد الله ابراهيم ناصف، ص٤٩

٣٨- ينظر ثيمة التضاد في الخطاب الشعري لأحمد مطر : ثائر سمير الشمري ، مجلة جامعة بابل مج١٨-ع١١ ، ص٤

٣٩- جذور أزمة المثقف في الوطن العربي : د. أحمد موصللي د. لؤي صافي ، ص٩٨

٤٠- بناء القصيدة في شعر حيص بيص دراسة في المضامين آليات والنص : ص٢٠

٤١- ديوان حيص بيص :ج٣ ص

٤٢- المصدر نفسه :ج١، ص٢١٧

٤٣- بناء القصيدة في شعر ابي الفوارس حيص بيص (دراسة في المضامين وآليات النص) : ٢٣

٤٤- ديوان حيص بيص :ج١ ص٢٤٥

٤٥- المصدر نفسه : ج١ ،ص٢٥٧

٤٦- المصدر نفسه : ج٣، ١٣١

٤٧- ديوان حيص بيص : ج٣ ص١٣٢

٤٨- توظيف الموروث في شعر إبي الفوارس (حيص بيص) : ص٣٨

٤٩- ديوان حيص بيص : ج١ ، ٤٧ص

٥٠- المصدر نفسه :ج١،٢٨١ ص

٥١- الأدب والمجتمع – مدخل إلى علم الأجتماع الأدبي : د. صبري حافظ : ص٦٦

٥٢- ينظر مبادئ علم الاجتماع : د.احمد رأفت عبد الجواد ، ص٧-٨

٥٣- الأدب الجاهلي في أثار الدارسين قديما وحديثا : د. عفيف عبد الرحمن ، ص٢٢٥-٢٢٦

٥٤- ينظر الادب والمجمتع – مدخل إلى علم الاجتماع الأدبي ،ص٧١

٥٥- ينظر بناء القصيدة في شعر حيص بيص دراسة في المضامين وآليات النص ، ص٢٦

٥٦- ديوان حيص بيص : ج٣، ص١٥٩

٥٧- المصدر نفسه : ج١، ٢٦٦ص

٥٨- توظيف الموروث في شعر حيص بيص : ص٤١

٥٩- ديوان حيص بيص : ج١، ١٢٠ص

٦٠- الشعر والواقع الاجتماعي في النقد الحديث : د. عبد القادر الرباعي ، مجلة الأقلام ، ع٨ ، ص٥١

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. الآخر في الشعر الجاهلي : مي عودة احمد ياسين ، رسالة ماجستير، ٢٠٠٦، جامعة النجاح الوطنية

٢. الأدب الجاهلي في أثار الدارسين قديما وحديثا : د. عفيف عبد الرحمن ، دار الفكر للطبع والتوزيع ، ط١ ، ١٩٨٧، عمان .

٣. الأدب العربي تعبيرا عن الوحدة والتنوع بحوث تمهيدية مجموعة باحثين : مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، لبنان، ط١، ١٩٨٧م

٤. الأدب والمجتمع – مدخل إلى علم الاجتماع الأدبي : د. صبري حافظ : بحث ، مجلة فصول ،مج١،ع١ ، ١٩٨١

٥. الأنا والآخر الجماعة دراسة في فلسفة سارتر ومسرحية : سعاد حرب ، ص[٢١٤] .

٦. الانا والهو سيجمند فرويد :أشراف د. محمد عثمان نجاتي ، دار الشروق بيروت ، ط١٩٨٢،٤.

٧. البداية والنهاية :حافظ عماد الدين ابن كثير ،ج١٢،تحقيق عبد الله بن عبد المحسن ، هجر للطباعة والنشر مصر د.ط ١٩٩٧.

٨. بناء القصيدة في شعر حيص بيص دراسة في المضامين وآليات النص : د.أيمن السيد الصياد ، دار الكتب العلمية ، المدينة المنورة ، ٢٠٠٤

٩. توظيف الموروث في شعر ابي الفوارس (حيص بيص) : ايمان عزات محمود عبد ، رسالة ماجستير ، ص٣٠

١٠. تاريخ الادب العربي : احمد حسن الزيات ، دار المعرفة ، لبنان ، ١٩٩٣،ط٦.

١١. ثقافات منحنية في المشهد الثقافي الراهن : د. عبد العظيم رهيف السلطاني ، المركز العلمي للدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر، ليبيا ٢٠٠٥

١٢. ثيمة التضاد في الخطاب الشعري لأحمد مطر : ثائر سمير الشمري ، مجلة جامعة بابل مج١٨-ع١١ ، ٢٠١٠م

١٣. جدلية العلاقة بين الأنا والآخر في سيناريو جاهز لمحمود درويش : أ. د خليل عودة ، جامعة مؤته ، فلسطين ٢٠١١ .

١٤. جذور أزمة المثقف في الوطن العربي : د. أحمد موصللي د. لؤي صافي ، دار الفكر العربي ، بيروت –لبنان

١٥. جماليات التضاد في شعر حيص بيص : د. عدنان حافظ جودة ، كلية الأمام الكاظم للعلوم الأسلامية ، قسم علوم القرآن

١٦. جماليات الفن (المناهج والمذاهب والنظريات) : علي عبد المعطي محمد ، دار المعرفة الجامعية ، الأسكندرية ١٩٩٤،د.ط

١٧. دراسات في الفلسفة الوجودية : عبد الرحمن بدوي ، دار الثقافة ، لبنان – بيروت ١٩٧٣

١٨. ديوان حيص بيص : شهاب الدين ابي الفوارس ، ج١ ، تح مكي السيد جاسم ، منشورات وزارة الأعلام –الجمهورية العربية ، ١٩٧٤.

١٩. السلطة السياسية – ضرورتها وطبيعتها – : عبد الله ابراهيم ناصف، دار النهضة العربية – القاهرة ١٩٩٣،د.ط

٢٠. سيكولوجية الإبداع في الفن والأدب : يوسف ميخائيل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٢م

الشعر والواقع الاجتماعي في النقد الحديث : د. عبد القادر الرباعي ، مجلة الأقلام ، ع٨ ، ١٩٨٠

٢١. كتاب التعريفات : علي بن محمد بن علي الجرجاني ، تحقبق عادل انور خضير ،دار المعرفة ٢—٧، ط١

٢٢. لسان العرب ، ابن منظور ، تصحيح أمين عبد الوهاب ومحمد الصادق ، دار أحياء التراث العربي ، ط٣، مؤسسة التراث العربي ، بيروت –لبنان ،١٩٩٩.

٢٣. اللغة الشعر في ديوان أبي تمام : م.د حسين الواد ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ط١، ٢٠٠٥م

٢٤. مبادئ علم الاجتماع : د.احمد رأفت عبد الجواد ، مكتبة نهضة الشرق ، القاهرة ١٩٨٣

٢٥. مشكلة الإنسان : د.زكريا ابراهيم ، جامعة مصر –القاهرة د.ت

٢٦. معجم الأدباء : ياقوت الحموي ، تحقيق أحسان عباس ج١١ ، دار الغرب الإسلامي ،ط١، ١٩٩٣ .

٢٧. المعجم الموسوعي للتحليل النفسي : د.عبد المنعم الحفني،ج٢، دار نوبليس ، بيروت– لبنان،ط٢ ١٩٩٩

٢٨. معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية: جلال الدين سعيد ، دار الجنوب للنشر، تونس ،٢٠٠٤م.

٢٩. المعجم المفصل في الأدب : محمد التونجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان، الطبعة الثانية ، ١٩٩٩م

٣٠. المعجم الموسوعي للتحليل النفسي: د٠ عبد المنعم الحفني، مج١–٢، دار نوبليس، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٥م.

٣١. المعجم النفسي والطب النفسي ، د٠ جابر عبد الحميد ،د٠ علاء الدين كفافي ،ج١– ٦، دار النهضة العربية ، القاهرة،١٩٨٨م.

٣٢. مفهوم الشعر دراسة في التراث النقدي: جابر عصفور، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، الطبعة الخامسة، ١٩٩٥م.

٣٣. مقدمة للشعر العربي، ادونيس ، دار العودة ، بيروت– لبنان، ط٣، ١٩٧٩م.

٣٤. مكونات الطبيعة البشرية عبر التاريخ وموقف الإسلام من الإنسان ، د٠ مسارع حسن الراوي ، دار الياقوت للطباعة والنشر، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥–٢٠٠٦م.